أوراق إستراتيجية

The New Yorker *June, 2006*
Fact
Annals of National Security

The Iran Game
How Will Tehran's Nuclear Ambitions Affect Our Budding Partnership?
By Seymour M. Hersh
Issue of 2001-12-3
Posted 2001-11-26

اللعبة الإيرانيّة

كيف سيؤثر الطموح النووي لطهران على شراكتنا النامية؟

إنّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة التي تصنفها إدارة الدولة مواحدة من أكثر الدول الراعية لإرهاب الدولة، ظهرت أيضاً كواحدة من أحدث الحلفاء المستجدين لأميركا- والأكثر إثارة للدهشة- في الحرب ضد أسامة بن لادن والقاعدة، والحليف الجديد الآخر كان روسيا. وإنّ أحد أقدم حلفائنا لا يحب ذلك.
وفي 24 تشرين الأوّل، وبعد أكثر من أسبوعين من بدء الحرب الجوية الأميركيّة، أرسلت إسرائيل وفداً حكومياً مفوضاً ، المدير العام للجنة الطاقة الذرية الإسرائيليّة، Gideon Frankالى واشنطن للقيام بمحادثات رسميّة، وتضمن الوفد ، رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي، وكان هدف الوفد تحذير الأميركيين، ولم يكن ذلك للمرة Uzi Dayanواللواء الأولى، من الدليل الجديد حول جهود إيران لكي تصبح، وبمساعدة روسيا، القوة النووية العالمية المقبلة.
وإنّ الرسالة، وكمشارك قام بتلخيصها، كانت، وعلى نحو مميز، فظّة، وتقول بأنّ برنامج القنبلة الذرية الإيرانيّة يتقدم بسرعة وبأنّه يجب القيام بشيء ما حول ذلك الأمر. وبسبب القلق الإسرائيلي الكبير من ذلك، فإنّه كان على الولايات المتّحدة أن تضع دعم روسيا لإيران على رأس أجندتها للسياسة الخارجيّة.
ويشكل التحذير مأزقاً لإدارة بوش. فإيران، والتي بغالبيتها دولة شيعيّة، وتملك روابط دينيّة وسياسيّة ثابتة وطويلة مع أفغانستان (يؤلف الشيعة 1/6 من عدد السكان الأفغان)، قامت بتقديم عرض تسمح فيه لطائرات الهليكوبتر الأميركيّة للبحث والإنقاذ بأن تقوم بعملياتها إنطلاقاً من القواعد على أرضها، كما قامت بنقل معلومات إستخباراتيّة من أفغانستان الى الولايات المتّحدة. وبحسب أحد مسؤولي المخابرات الأميركيّة السابقين، إسماعيل خان، وهو قائد الحلف الشمالي، الذي) والمعروف بأنّه كان مصدر قوة خفي لمكتب المخابرات الإيرانيّة، Heartطالب جيشه إسترداد المدينة الغربيّة هيرات (أي فيلق الحرس الثوري الإيراني ووزارة الأمن والمخابرات.
وكانت كلا المؤسستين معاديتين لأميركا بشكل علني، وذلك منذ الإستيلاء على السفارة الأميركيّة في طهران في العام 1979، ويُنظر الى تعاونهم مع جهود الحرب الأميركيّة كدليل لافت لتحوّل أوسع نحو الإعتدال.
ومنذ الهجمات الإرهابيّة في 11 أيلول، كان الرئيس الإيراني محمد خاتمي، الإصلاحي والذي يسعى الى تحسين العلاقات مع واشنطن، قد إنتقد مراراً تفسير بن لادن للإسلام وقال أنّه إذا إختار الشعب الفلسطيني الإعتراف بحق إسرائيل في الوجود، فعلى إيران أن تحترم رغبته. وعلى كل، فإنّ جماعة المخابرات الأميركيّة غير واثقة من إستقلاليّة خاتمي عن الزعماء الدينيين المحافظين في إيران. فالملاليون لا يزالون يسيطرون على مكاتب المخابرات والتي تمول وتعمل بشكل وثيق مع حزب الله ومنظمات إرهابيّة أخرى تعمل داخل إسرائيل.

وقد كان المجهود السري لإيران للحصول على القنبلة والدعم الذي تلقته من روسيا، مراقباً عن قرب من قِبَل الوكالات الإستخباراتيّة الأميركيّة، كما كان المسؤولون الإسرائيليون والأميركيون يلتقون سراً منذ أواسط التسعينات لتقاسم المعلومات حول البرنامج النووي (كان لدى إسرائيل ترسانة نوويّة على مدى عقود على الرغم أنّها لم تعترف أبداً بذلك علناً).

وأنكرت إيران دوماً أنّها تحاول صنع قنبلة. (" إني أكره هذا السلاح "، قال الرئيس هاشمي رفسنجاني، سلف خاتمي، – في العام 1997). 60 minutes لبرنامج " 60 دقيقة "-

ومع ذلك، فإنّ عدداً من ضباط المخابرات الأميركيّة والإسرائيليّة يقدرون بأنّ إيران لا تبعد سوى من ثلاث الى خمس سنوات من الحصول على رؤوس حربيّة قابلة للقذف. أمّا السؤال العاجل، فيتعلق بما إذا كان البلد قد تجاوز نقطة اللارجوع- المرحلة التي لم يعد بالإمكان إخراج قدرتها المحلية على الخط (الذي رسمته) بالسيطرة على التصدير أو بمنع وفرض حظر على المزودين المحتملين.

" إنّهم أقرب الى تلك المرحلة من أن نشعر بالإرتياح حولها- وإنّ الحقيقة بأننا لا يمكننا تغيير ذلك لا يجعلني أشعر بالإرتياح "، كما أخبرني أحد ضباط المخابرات الأميركيّة. ويعتقد مسؤول المخابرات الى الآن بأنّ الحاجز الأكبر لإيران هو العمليّة المجهدة لإنتاج المادة الإنشطارية للأسلحة. وعلى كل حال، وإذا ما إستطاعت إيران أن تتدبر بطريقة ما الحصول على المادة الإنشطاريّة من السوق السوداء الروسيّة، فإنّ كل تقديرات المخابرات الأميركيّة والإسرائيليّة يمكن أن تبدو تقديرات شاذة عن الموضوع.

وبإتباع النموذج الباكستاني- وباكستان هي حليف أميركا الآخر في الحرب ضد طالبان- قامت إيران بتأسيس متاهة من الشركات السريّة لإخفاء برنامجها النووي. وبحسب مسؤول كبير سابق في البنتاغون، فقد لاحظ مكتب المخابرات في السنتين الأخيرتين " حفراً مكثفاً " في إيران وذلك مع إندفاع المهندسين النوويين لإنشاء مرافق إنتاج سريّة. " نحن نعلم أنّهم يحفرون عميقاً وبشكل سري "، قال المسؤول السابق. وأكّد مسؤول إسرائيلي بأنّ المواقع السريّة " منتشرة في جميع أنحاء البلاد ". ويأمل الإيرانيون، وبشكل ظاهر، تقليل الضرر المحتمل الى الحد الأدنى، وهذا الضرر هو ما دعاه مسؤول آخر في المخابرات الأميركيّة " بالترجمة الإسرائيليّة لمكافحة الإنتشار النووي "- ضربة جوية إستباقيّة. (هاجمت القوات الجوية الإسرائيليّة، في العام 1981، ودمرت مفاعلاً عراقياً جديداً قبل أشهر قليلة من الجدول الزمني لوضعه في الخدمة).

وقد دعى ديبلوماسي أوروبي، كان قد تولى القيام بتعيينات حساسة للأمم المتّحدة في إيران في العقدين الأخيرَين، عزم إيران للحصول على القنبلة " بالسلوك المتناقض ". وقال، " هذا هو الوقت المناسب للنظر في خدعهم. حان الوقت حقاً بالنسبة للولايات المتّحدة لكي تصل علاقاتها مع إيران أو تقطعها ".

وبدأت إيران سعيها للحصول على الأسلحة النووية في أواسط السبعينات وذلك عندما أسس الشاه محمد رضا بهلوي، الذي كان يفيض بمال النفط وبالدعم الأميركي، مؤسسة الطاقة الذريّة في إيران، وأعلن أنّ مملكته قد تقوم بإنشاء 23 ، المجموعة Siemens مفاعلاً للطاقة. وإستثمر الشاه ما قيمته 6 مليارات دولار في مشاريع نوويّة. وأنجزت شركة الإلمانية الغربيّة، أكثر من نصف البناء اللازم لتركيب مفاعلين في بوشهر قرب الخليج الفارسي. وكان هناك الآلاف من الإيرانيين يدرسون الفيزياء والمواد المتعلقة بها في الخارج.

وأشارت تقارير المخابرات الأميركيّة بأنّ الشاه كان قد خطط أيضاً لصنع قنبلة نووية؛ وقد تم تعيين فريق لتصميم الأسلحة النوويّة، وكان هناك جهود سرية للحصول على المواد والمهارات الضروريّة لإنتاج السلحة.

ووصل هذا المجهود الى نهاية غير متوقّعة في العام 1979، عندما أُطيحَ بالشاه وتم الإستيلاء في النهاية على السلطة بواسطة الحكومة الثوريّة المؤقتة برئاسة آية الله الخميني.

"، وهي دراسة تعود للعام 1987 عن إنتشار الأسلحة النووية، أشار خبير الأسلحة Going Nuclear وفي دراسة " ، وبتبصّر، بأنّه إذا ما كان لصناع السياسة الأميركيون فهم أكبر لقوّة ونفوذ التشدد الإسلامي Leonard S. Spector وللمشاعر المناهضة لأميركا في إيران. فلربما كانوا تصرفوا بشكل أكثر تهجماً وذلك للمحافظة على عدم وقوع الموارد النوويّة في أيدي الحكومة الجديدة في إيران. ومع ذلك، وعلى مدى الثمانينات، بدا أنّه ليس هناك من داع كبير للقلق على المستوى الرسمي بما أنّ إيران والعراق خاضا حرباً مدمرة أنهكت كليهما.

وكان قد تمّ أساساً وقف البرامج النوويّة لإيران، حيث تضررت الأبنية غير المكتملة في بوشهر بشكل سيء بسبب غارة قصف عراقيّة بالقنابل.

وإنتهت الحرب في عام 1988 بهزيمة إيران، وتحوّل الملاليون الحاكمون مرة أخرى الى ألمانيا الغربيّة والى مجموعة Siemens ، إلاّ أنّ الحكومة الألمانية، وبضغط من واشنطن- كان شعار " الموت لأميركا " هي الصرخة الإيرانيّة المدوية- قررت إنهاء تورطها النووي في إيران، ولم يترجم العداء المشترك للسوفيات وإيران ضد الولايات المتّحدة، في ذلك الحين، الى علاقة وثيقة بينهما. فخلال حرب العراق وإيران، كان الإتحاد السوفياتي- الذي يتقاسم حدوداً مشتركة مع إيران بطول 1200 ميلاً- الداعم الرئيسي للعراق وأكثرهم أهمية لجهة الإمداد بالسلاح. وعلى كل، وبعد وفاة آية الله الخميني في العام 1989، تحولت القيادة الدينيّة الإيرانيّة لطلب المساعدة من الصين، وأيضاً من الإتحاد السوفياتي في تحول جيوسياسي كبير ورئيسي، ووقعوا على إتفاق شامل للتجارة والسلاح مع السوفيات والذي تضمّن تعاوناً على " الإستخدام السلمي للطاقة الذريّة ".

وقد وافق هذا التحالف الجديد حاجات موسكو جداً، إذ جاء عندما كان الإتحاد السوفياتي في المراحل الأخيرة من إنهياره الإقتصادي والإمبريالي.

ووافقت حكومة يلتسين على إعادة بناء مرافق إيران التي قُصِفَت في بوشهر، ووقع البلدان في العام 1995 عقداً بقيمة 800 مليون دولار ينص على أن يقوم الروس بالمساعدة على تركيب مفاعل قوي هناك بإدارة فريق إيراني- روسي. ومنذ ذلك الحين، تم إنشاء أبنية ضخمة ومعقدة في الموقع، كما بدأت إيران أيضاً ببرنامج تدريب للفيزيائيين والتقنيين الإيرانيين وجهزت صفوفاً

(عيادات) لكيفيّة تشغيل محطة طاقة نوويّة.

وعلى كل حال، فقد أخبرني مسؤولون في المخابرات، بأنّ مرافق الإنتاج النووي الأكثر أهمية في إيران ليس تلك التي في بوشهر والمفتوحة أمام التفتيش الدولي التابعة للوكالة الدوليّة للطاقة الذريّة ومركها فيينا، وإنّما هي منتشرة في كل أنحاء البلاد، وهي مواقع سريّة واقعة تحت السيطرة العسكرية. ولم يتم " التصريح " عن هذه المرافق السريّة- وبذلك فهي غير خاضعة لتفتيش الوكالة IAEA .

ويُعتقد أنّ إحدى المواقع السريّة والمهمّة هي جامعة الشريف للتكنولوجيا (Sherif University of Technology) في طهران والتي كما يُزعم تعمل كمركز أبحاث وإنجاز لبرنامج القنبلة. وقد أخبرني مسؤول أميركي كان يعمل بشكل وثيق مع المخابرات الإسرائيليّة بأنّه في فترة من الفترات في أوائل التسعينات، قام الإسرائيليون بتعقّب فيض من المواد المحظورة ذات التقنيّة العالية (High-Tech) من المصنّعين الإلمان الى إيران، وحدّدَ كلامه قائلاً بأنّ جامعة الشريف هي " الموضع السري ".

وأتت أكثر المعلومات الإستخباراتيّة إزعاجاً في أواخر التسعينات، حيث عُلِمَ من مصادر حساسة بأنّ الدكتور عبد القادر خان، الذي يدير البرنامج النووي الباكستاني من السبعينات الى حين تقاعده أوائل هذه السنة، كان قد قام بزيارة سرية واحدة على الأقل الى مرفق نووي إيراني

(وغالباً ما كان يسافر في رحلات غامضة كهذه). ويُعرف خان بأنّ أب القنبلة الذرية الباكستانيّة عند الكثيرين في باكستان- الذين يقدرونه لبراعته، عندما أصبح لديه، وبعد خطط لتدبير الحصول سراً على أجهزة طرد مركزيّة غازيّة معقّدة من أوروبا في السبعينات، مختبرات تقوم بإنتاج أسلحة اليورانيوم وذلك في أواسط الثمانينات.

وكان خان تحت المراقبة الأميركيّة لأنّه قام بزيارات سريّة الى كوريا الشماليّة. ويعتقد المسؤولون الأميركيون بأنّه لم يحضر معه مواداً فعالة الى إيران- فقط سنوات خبرته في صنع القنبلة. " هذا الرجل يتحرك من مكان الى آخر "، قال أحد مسؤولي المخابرات الأميركيّة عن خان. " إنّه في الأماكن السيئة وفي الأوقات السيئة ".

لقد كان التركيز الأولي للمخابرات الإسرائيليّة والأميركيّة على تقدم إيران في صنع القنبلة أقل من التركيز على قدرتها على شراء قنبلة جاهزة من روسيا.

فبعد تفكك الإتحاد السوفياتي في العام 1991، أظهر الضباط العسكريون الروس- كانت قواتهم بحاجة الى السيولة الماليّة- إستعداداً، في بعض الأحيان، لبيع الأسلحة- بما فيها الصواريخ لأي شخص تقريباً. وضرب اليأس الإقتصادي الروسيّة، المعروفة بإسم Minatom أيضاً وزارة الطاقة الذريّة الروسيّة، ، وهي المشروع الضخم الذي كان يقوم بإدارة المواقع النوويّة وأسلحة اليورانيوم وأسلحة النوويّة العشرة المغلقة، حيث كان يتم صناعة وإنتاج أكثر من ألف طن من الرؤوس النوويّة مسؤولة عن المحافظة، ولاحقاً عن تفكيك ترسانة الأسلحة النووية Minatom- والبلوتونيوم- خلال الحرب الباردة. وكانت الضخمة لروسيا، ولكن بحلول عام 1998، كانت الحكومة الروسيّة تموّل فقط حوالي 20 بالمئة من نفقات التشغيل لـ Minatom ، ومضى على آلآف العلماء والتقنيين في المواقع المغلقة شهوراً لم يقبضوا فيها رواتبهم.

وقام أعضاء العصابات الإجراميّة الروسيّة بإستغلال حالة الفقر والفوضى ما بعد روسيا السوفياتيّة ودخلوا في أعمال شراء التجهيزات العسكريّة وباعوها الى فريق ثالث.

وبالنسبة لكثير من المنشآت الصناعيّة العسكريّة الروسيّة، فإنّ هذه المعاملات السرية كانت كسباً غير متوقع. " إنّهم يجنون مالاً- الكثير من المال "، كما شرح ضابط مخابرات أميركي سابق. وإنّ القيادة العسكريّة، كما قال، مليئة بجنرالات يحملون إمتعاضاً قديماً في داخلهم- مجموعة من الخرقى المتمسكين بالتقاليد البالية، والذين لا يفهمون بأنّ الحرب الباردة قد إنتهت. وتابع يقول، " إذا كنت جنرالاً روسياً متمسكاً بالمبادئ البالية يعتقد بأنّ الشيطان يبدأ وينتهي مع الولايات المتّحدة، فإنّك بذلك تساعد صديقاً إقليمياً. وكان الجيش عبارة عن دولة داخل دولة في ظل حكومة يلتسين. وإنّ المشلكة الأمبر التي تواجه الرجل الجديد- فلاديمير بوتين، الرجل الذي حل مكان يلستين في نهاية العام 1999- هي كيف يمكنه السيطرة على الجيش ".

ويعتقد أنّ إيران قامت بمجهود خطير في أوائل التسعينات لشراء مواد مخصصة لأسلحة نوويّة من مصنع في كازاخستان، الدولة المستقلة حديثاً. وبحسب William Courtney، الذي كان السفير الأميركي الأول الى كازاخستان، فإنّ فريقاً من خبراء الأسلحة الأميركيين من سفارة الولايات المتّحدة و Oak Ridge National Laboratory، كان قد أخطأ بشكل غير مقصود بالنسبة للإتفاق المخطط له في 1994، عندما دُعِيَ هؤلاء الخبراء الى المصنع للتفتيش عن مخبأ لليورانيوم المخصّب عالياً، والذي كانت كازاخستان قد عرضته للبيع أمام الولايات المتّحدة. وأخذ Courtney بالتذكر بأنّ اليورانيوم كان لصناعة قضبان وقود للمفاعلات الموجودة في الغواصات النووية السوفياتيّة، لكنه " أُهمِلَ ووضعَ جانباً " عندما إنهار الإتحاد السوفياتي. " لقد نسي السوفيات أمر هذا الوقود "، قال Courtney، وشرح بأنّ الكازاخستانيين إعترفوا لاحقاً بأنّ الإيرانيين تقربوا منهم لشراء البضاعة، لكنّهم إدّعوا بأنّهم قرروا عدم القيام بهذا الإتفاق.

ومهما كانت الحقيقة، فإنّ الإكتشاف رفع من الحماسة الأميركيّة لإخراج جميع المواد من كازاخستان، وفي عمليّة سريّة، تمّ تحويل اليورانيوم الى الولايات المتّحدة مقابل حصّة أكبر من المساعدات الأجنبيّة.

وقدّم مسؤول آخر في المخابرات الأميركيّة رؤية ساخرة عن الروس " لديهم إزدراء حقيقي للإمكانيّة الفطرية للإيرانيين "، قال المسؤول مضيفاً بأنّه، وفي أوائل السبعينات، كان الروس يستنتجون بأنّ البرنامج الإيراني الذي كان برئاسة الديمقراطيين حينذاك، كان يُدار بشكل سيء، وبأنّ أي عمليّة بيع لتجهيزات التقنيّة العالية لم يكن من المرجح أن يؤدي الى أي مكان. " لقد كان هناك أربعة من المساعدين في المختبر يقومون بإدارة البرنامج، وكانوا جميعاً من العاطلين من ولاية فلوريدا "، قال شرطي مباحث سري من الـ CIA. وعلى كل حال، وفي العام 1997، وبعدما إنتخب خاتمي ممازحاً. وبعدما إنتخب خاتمي رئيساً، وُضِعَت العملية الإيرانيّة تحت رعاية غلام رضا آغا زاده، وهو وزير نفط سابق عمل أيضاً كنائب للرئيس خاتمي. " إنّ العملية أفضل الآن- إنّها أكثر تركيزاً وتتحرك نحو الأمام "، كما أخبرني المسؤول في المخابرات.

وفي حزيران 1995، زار نائب الرئيس Al Gore موسكو وتفاوض حول إتفاقيّة مع Victor S. Chernomyrdin، رئيس الوزراء الروسي. وقد حمى الميثاق الروس من العقوبات الإقتصاديّة في مقابل التعهد بأن تتوقف موسكو عن تسليم كل أنواع الأسلحة التقليديّة لإيران بنهاية العام 1999. كما كان هناك تعهد شخصي، كما أخبرني ضابط معاون كان مشتركاً في المباحثات، من الرئيس يلتسين للرئيس كلينتون، يؤكد فيه بأنّ الروس لن يقدموا تكنولوجيا نوويّة الى إيران. وقد ثبت أنّ الوعد الروسي كان من دون معنى: لقد إستمر الدعم الروسي السري والعلني لإيران.

ولاحقاً بعد ذلك، بدأت الولايات المتّحدة وإسرائيل بعقد إجتماعات لمناقشة التهديد النووي الإيراني ومسائل أمنيّة أخرى. وكان الوفد الحكومي Gore، مستشار الأمن القومي لنائب الرئيس Leon Fuerth، وكان الفريق الأميركي برئاسة الإسرائيلي عادة برئاسة مستشار سياسي من مكتب رئيس الوزراء، كما كان يتضمن دوماً، واحداً أو إثنين من ضباط المخابرات العسكريّة (مخابرات الجيش).

وإستمر الإسرائيليون بتقديم ما أصروا على أنّه دليل ثابت على التورط الروسي في البرنامج الصاروخي والنووي الإيراني. وفي إحدى الحالات، قامت المخابرات الأميركيّة والإسرائيليّة بتعقب أنشطة الفريق الروسي عندما كان يتحكم القادرة على حمل رؤوس نوويّة ويصل مداها الى 1250 ميلاً SS-4، بمرفق إنتاج (محفوظ) قام بصنع صواريخ وشحنتها " قطعة، قطعة " الى إيران، كما وصف ذلك ضابط مخابرات أميركي سابق.

لاحقاً أنّ موسكو كانت قد سمحت بعمليّة الشحن تلك. (وبحسب تقرير في العام 1999 في Chernonyrdin وقد أنكر ذلك، فإنّ نسخة معدّلة ومطوّرة من صاروخ SS-4، تمّ تطويرها، تُعرف بإسم شهاب-4، مجلة Jane's Defense Weekly كجزء من الترسانة الإيرانيّة).

وغالباً ما كانت الإحتمالات الأميركيّة مع الإسرائيليين متوترة. فالوفد الإسرائيلي لم يكن يوفر إنتقاداته للروس، كما كان يصر على أن تفرض الولايات المتّحدة ضغوطاً أكبر على موسكو لتكف عن دعم إيران. وثابرت إدارة كلينتون، بحسب الإسرائيليين، على رؤية روابط روسيا مع إيران بإعتبارها نتيجة للفساد، الطمع، والإفتقار الى سيطرة الدولة على إقتصادها المنهار فحسب. وإحتج الإسرائيليون رداً على ذلك بأنّ المبيعات النووية كانت جزءاً من إستراتيجيّة روسيّة أكبر للبدء بإستعادة مكانتها كقوة عظمى ولإستخدام مساعدة إيران في التعامل مع حالة تصدير التشدد والعصبيّة الإسلاميّة.

" فمنذ البداية، تمسك الإسرائيليون بالرؤية التي تقول بأنّ روسيا تريد أن تمكّن إيران من حيازة قدرة صاروخيّة بعيدة المدى "، قال لي ذلك مسؤول سابق في إدارة الدولة، " وإلاّ لماذا لم تعمل روسيا على وقف ذلك؟ ". وعلى كل حال، فقد مضى يقول بأنّه " وبمرور الوقت، بدأ الإسرائيليون يشاهدون كيف كان التحكم الروسي أخرقاً ". ومع ذلك، كان هناك تقريباً صرخة إسرائيليّة، وكان معنى تلك الصرخة " أنتم أيها الأميركيون لديكم سمكة أخرى لتتقاسموها مع الروس، فلا تلتفتون كفاية الى متطلباتنا الأمنيّة ".

وخلال دورتها الثانية، إستمرّت إدارة كلينتون بالتأكيد علناً على التهديد الذي يشكله نظام صدام حسين في العراق- وهو تأكيد إتّجه الى رفع الضغط عن طهران. " لقد كان السؤال دوماً يدور حول الأولويّة "، قال مسؤول سابق في البنتاغون مسألة أكثر أهميّة، وكان هناك في البوسنة، كوسوفو، والشيشان ". NATOوهو يتذكّر. " كان توسيع حلف

في البيت الأبيض، كان هناك بعض النجاحات الصغيرة في النضال لإحتواء الطمع الروسي Leon Feurth وفي مكتب ومنع إيران من الحصول على القنبلة الذريّة. ومع مساعدة الموساد، وهي وكالة الإستخبارات الإسرائيليّة، قام المسؤولون الأميركيون بعزل مجموعة من الشركات الخاصة في ألمانيا، أوكرانيا، والجمهوريّة التشيكيّة التي كانت على إستعداد لبيع التكنولوجيا النووية لزبائن مشكوك بهم. وحثوا هذه الشركات على وقف إتصالاتهم مع إيران.

كما أنّ الشركاء التجاريين الآخرين المحتملين لم يكونوا متشجعين للقيام بأعمال مع إيران وذلك من خلال مبادرات ديبلوماسيّة، عقوبات أو مساعدات إقتصاديّة وكذلك بلوي الذراع سياسياً.

التي لا تزال تتخبط في المشاكل. وبنهاية العقد، Minatom ورد بوتين على الضغط الأميركي، وقام بتغيير قيادة الى مستويات الكفاف- وهو بالكاد يشكل رادعاً لبيع المادة Miantomتضاءل مستوى أجور العلماء الكفوئين في الإنشطاريّة التي يمكن أن تنتهي في السوق السوداء الدوليّة.

وقد أدّى إنتخاب جورج دبليو بوشن في السنة الماضية الى تعليق الإجتماعات بخصوص إيران بين المسؤولين الأميركيين والإسرائيليين. وقد فسّر أحد المسؤولين السابقين ذلك بأنّ كلا الجانبين يعارضان إستمرارها. " عندما إستلم بوش، تضاءلت شاشة الرادار في البيت الأبيض "، قال المسؤول السابق، " ولم يقم الإسرائيليون، في الواقع، بإمداد البيت الأبيض بأشخاص جدد، وربما كان الرجال بحاجة الى بعض الوقت، وهذا جزء من السبب، أمّا الجزء الآخر، فكانت الإنتفاضة".- حرب العصابات المتجددة بين إسرائيل والفلسطينيين.

وقال مسؤول آخر بأنّ الإسرائيليين قاموا، وببساطة، " بحسب مجموعاتهم " في الأيام الأولى لرئاسة بوش (وكما يحدث، فإنّ عرض الميزانيّة لإدارة بوش للعام 2002، نصت على تخفيض دراماتيكي لحصّة إدارة كلينتون الجارية لبرامج هدفت الى وقاية المخزون النووي الروسي).

وأحد العوامل كان تصميم إدارة بوش على إقناع بوتين ليقوم بإسقاط معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباستيّة التي تعود الى العام 1972، والإنضمام الى واشنطن لإنشاء نظام دفاعي صاروخي عالمي. وأشار مسؤول سابق في البنتاغون بأنّ الكثيرين في روسيا يعتقدون بأنّ " إيران كانت ستصل الى ذلك بأيّة وسيلة "- تطوير قنبلة- بمساعدة كوريا الشماليّة والصين. فلِمَ إذن بذل الجهد الكبير في حين ستكون المصالح الروسيّة مضمونة بصداقتها مع إيران؟ ولم يكن واضحاً ما إذا كان تحوّل السلوك الروسي كان ليعمل على تحوّل البرنامج الإيراني.

وفي السنة الماضية، وبحسب مسؤولين أميركيين، فقد جمعت إسرائيل أدلّة تُظهر بأنّ هناك على الأقل، شركتَي تصدير روسيّة إستمرتا بشحن غير مشروع لمنتوجات الفولاذ والألومنيوم المخصصة بشدة والأساسيّة لتجميع وتشغيل أجهزة الطرد المركزيّة. وقرر، ظاهرياً، آرييل شارون، رئيس الوزراء الإسرائيلي، القيام بمقاربتَين شائكتَين: تجدد المباحثات الرسميّة مع واشنطن وإعادة هندستها إن أمكن، وأن يظهر شارون بنفسه الى موسكو ويواجه بوتين بدليل جديد على التورط الروسي.

وبحسب المسؤولين الإسرائيليين، فقد إلتقى شارون ببوتين في أوائل أيلول، قبل أيام قليلة من الهجمات الإرهابيّة على نيويورك وواشنطن، وسلّم المعلومات الصريحة المتعلقة بعملية بين روسيّة خاصة لمواد تتعلق بالمواد النووية، الى إيران.

وأصرّت الحكومة الروسيّة في البدء بأنّ المواد كانت للإستخدام الصناعي العادي، إلاّ أنّها وعدت بالتحقيق في المسألة. وأخبرني أحد المسؤولين الإسرائيليين بأنّه " بعدما قام الروس بالتدقيق، رجعوا إلينا وإليكم "- إسرائيل والولايات المتّحدة- وقالوا " بأنّ ذلك قد توقف ". نحن نعلم بأنّ الأمر لم يتوقف وبأنّ المواد وصلت الى طهران. كما نعلم بأنّ بوتين قد تعرّض للكذب.

ولا يزال الإسرائيليون يأملون بعلاقات مستقبليّة مع بوتين، الذي تكلّم بحرارة عن مليون يهودي روسي يعيشون في إسرائيل. وأخبرني أحد المسؤولين الإسرائيليين بأنّ " شارون، وفي إجتماعاته مع بوتين، قام بتوضيح تلك المسألة- القنبلة الإيرانيّة- وبأنّها كانت مسالة وجود بالنسبة لإسرائيل، وبأنّ بوتين يدرك ذلك لكنّه لا يعتقد أنّ الإيرانيين يسعون للحصول عليها ". وفي هذه الأثناء، أضاف المسؤول قائلاً، فإنّ مئات الإيرانيين مستمرون في الحصول على تدريب متقدم في تكنولوجيا الإنتاج الصاروخي والنووي في المؤسسات والمعاهد الروسيّة.

Gideon، وهو وزير من دون حقيبة، الى جانب Dan Meridor وعاد الإسرائيليون الى واشنطن مع وفد تضمّن ، وإنّما مع جون بولتون السكرتير الثاني (المساعد) في Fuerth. ولم يكن تواصلهم حينذاك مع Dayan، واللواء Frank الدولة لشؤون الأمن الدولي والسيطرة على التسلح. ووجد الإسرائيليون واشنطن مشغولة بالعراق وبالحرب المقبلة ضد أسامة بن لادن والطالبان وبحلفائها المستجدين في الحرب على الإرهاب.

وتم إغتيال حوالي 12 ديبلوماسياً إيرانياً في مزار الشريف بواسطة الطالبان في العام 1998. وبعد سنيتن من ذلك، إستولوا على السلطة هناك، وكانت إيران متحمسة لحماية مصالحها السياسيّ- وحدودها. كما أنّ باكستان، والتي يُعتقد، وعلى نطاق واسع، بأنّها قدمت لإيران معلومات أساسيّة حول تصميم القنبلة النووية، كانت وبشكل مفاجئ أشد حلفاء أميركا أهمية في جنوب آسيا، وأكثرهم حصولاً على المكافآت الماليّة. وإنضمّ بوتين الى رئيس الحكومة البريطاني طوني بلير في تقديم المدح والتأييد العلني المتكرر للإدارة الأميركيّة والرئيس بوش.

وقال أحد مسؤولي المخابرات الأميركيّة السابقين، بأنّ الإسرائيليين أتوا الى واشنطن لتجديد تحذيراتهم حول القنبلة الإيرانيّة لأنّهم " يعتقدون بأنّها الطريقة الوحيدة للفت إنتباه أي شخص في إدارة بوش ". وكانت علامة مخابرات الإدارة مع إيران حافلة بذكريات قرار أميركا بالوقوف الى جانب العراق أثناء حرب العراق وإيران. وأضاف قائلاً، " لقد قدمنا الدعم الإستخباراتي للعراقيين، وأنظروا الى المسخ الذي خلقناه هناك، واليوم نُقاد الى نفس الطريق في إيران ".

فحتى أشد المنتقدين لجماعة المخابرات الأميركيّة والمشككين بها في إسرائيل- وهم كثر- يعترفون اليوم بأنّ هناك مشكلة خطيرة.

وفي تطورات رسميّة، وضعت المخابرات الأميركيّة إيران على قائمتها بصفتها تشكل تهديداً أكبر من العراق لجهة الإنتشار النووي العاجل. " الكل يعلم بأنّ إيران هي البلد التالي- أي بحيازة السلاح النووي ". كما قال لي محلل للإستخبارات النووية. " لقد كانت إيران تشكل الهاجس الأول لجهة البلد التالي الذي سيحوز الأسلحة، وذلك في السنيتن الأخيرتَين، وعلى أعلى المستويات الحكوميّة " وأشار بعد حرب الخليج الى أنّ برنامج التفتيش الدولي، الذي تم إنتقاده كثيراً، عمل على " إغلاق البرنامج النووي العراقي الى حد كبير ". وتابع يقول بأنّ العراقيين " يدركون ذلك- أي بأنّ بإمكانهم الرجوع بسرعة الى تسريع برنامجهم النووي، إلاّ أنّ المجتمع الدولي لن يدعهم يفعلون ذلك، هذا وهم لم يمضوا بعيداً في برنامجهم كالإيرانيين. إنّ إيران تقدم نحو الحصول على القنبلة، ولن يتم حل ذلك الأمر بالديبلوماسيّة ولا بالتحكم في التصدير "، قال المحلل.

وتستمر إدارة بوش بالتركيز على التهديد الذي يعرضه صدام حسين في العراق. فالموضوع الأكثر أهميّة هو التعامل مع العراق وليس مع إيران، لأنّ لا شيء يسير نحو الأفضل في العراق "، أخبرني بذلك إستراتيجي كبير في الإدارة، " ففي إيران، يقوم الناس يتحدي الحكومة بشكل علني. هناك بعض الأمل بأن تصبح إيران أفضل، لكن لا شيء في العراق يمكن لأربعة من شبان Anthraxأن يعطيك هذا الأمر لأنّ صدام يحكم بشكل قاس للغاية. ماذا سنفعل إذا ما أمّن صدام مادّة القاعدة؟ " قال لي الإستراتيجي الكبير، " إذا خرج العراق من الصورة، فسوف نركز على إيران بشكل مختلف كلياً ".

إنّ مساعدة إيران في الحرب في أفغانستان وتطوراتها الداخلية العديدة- من تنامي الإستيلاء الى التضييق والقيود الدينيّة الى تزايد مشاركة النساء في الحياة السياسيّة- كلّها أمور تشجّع المسؤولين الأميركيين. إلاّ أنّ أحدهم أخبرني بأنّ واشنطن تدرك بأنّ إيران سوف تستمر بمواصلة السعي للحصول على القنبلة، وبأنّ روسيا ستواصل مساعدتها. " حتى لو أصبح توماس جفرسون رئيساً، فإنّ إيران ماضية في طريقها لكي تصبح دولة نووية "، قال المسؤول الأميركي.

ويعترف بعض المسؤولين الإسرائيليين ضمناً بأنّ مدى الحلحلة أمام إدارة بوش لإخراج الجهود الإيرانيّة عن خط صنع القنبلة سيكون مرتبطاً بتقدم الحرب على الإرهاب ونتيجتها. " سيكون ذلك معتمداً على مدى النجاح مع أسامة بن لادن "،

قال أحد المسؤولين الإسرائيليين. " إذا ما إستمر الإرهاب، فلن يكون هناك بديل للولايات المتّحدة إلاّ طلب المساعدة من إيران ". وقد وصف جنرال أميركي بأربعة نجوم مسألة الأولويات بتعابير أكثر حيويّة، " سوف نقول للباكستانيين والروس أن يقوموا بالتراجع عن مساعداتهم لصنع القنبلة الإيرانيّة "، قال الجنرال، " لكن ذلك هو الفصل الثاني، وبعد أن نقبض على رجلنا ونضعه داخل الكيس "- أي بن لادن.

Research Services Group
ResearchServics.Group@gmail.com